مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 03 عدد: 06 السنة 2017 DOI :

إسهامات أنظمة التعليم في مجتمع المعرفة والتنمية المستدامة

التجربة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا أنموذجا

Contributions of education systems in the knowledge society and sustainable development, model of the Algerian experience since independence and to date.

محمد مكي، جامعة محمد بن أحمد، وهران 2، الجزائر

mekkipsychologie@yahoo.fr

زوبيدة الماحي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر

doctoratpsy@gmail.com

الملخص

كان على الجزائر غداة الاستقلال سد الفراغ في مختلف المؤسسات التعليمية في أطوارها الثلاثة، وكان لزاما عليها أن تسابق الزمن، فعملت على تمهين التعليم، وخصصت مبالغ طائلة في إنجاز المؤسسات التكوينية، وإلزامية التعليم وديمقراطيته، وإصلاح المنظومة التربوية نظرا للميزانية المخصصة لوزارة التربية. واعتمدت في البداية على متعاونين أكفاء من بلدان عربية وأجنبية، وأصبح الانتقاء لا مفر منه للالتحاق بالمعاهد التكنولوجية للتربية. وقد سهرت هذه المؤسسات على أن يكون المعلم ذا ثقافة واسعة واطلاع مستمر لتحيين معارفه وتحسين مستواه في مختلف مجالات الحياة وإكسابه أكثر من لغة حية،

ومتمكنا من مادة تخصصه. وأن يكون أداؤه التربوي والبيداغوجي جيدا في مختلف مناهج البحث وطرق التدريس، وأن يكون له زاد وفير في علم النفس التطوري، وعلم نفس الطفل، والمراهقة ومشكلاتها، وأن يكون على بينة من الصحة النفسية للمعلم والتلميذ، وله معرفة بالتشريع المدرسي وأخلاقيات المهنة، ولا يمكنه أن يمارس مهنة التعليم إلا بعد تربصات وتدريبات عملية في مؤسسات تطبيقية. وبعد الانتهاء من تكوينه، يعين بإحدى المؤسسات التربوية اللائقة المجهزة بأحدث الوسائل التكنولوجية وبطواقم متخصصة في الإرشاد والتوجيه وعلم النفس الإكلينيكي.. ولن تتوقف آفاق المعلم عند هذا الحد والحصول على الشهادة إذ لابد له من متابعة تكوينه مدى الحياة في إطار الخدمة، فيواصل تكوينه البيداغوجي والعلمي والثقافي من خلال الأيام الدراسية والندوات التربوية، والورشات التكوينية والتكوين المستمر. غير أن الأمور تقهقرت إبان العشرية السوداء، فهدمت المؤسسات التعليمية، وأزهقت أرواح العديد من المعلمين والمعلمات، وهجّر قاطني القرى والمداشر، وأحرقت الكتب والأدوات المدرسية، فكان التشريد والدمار والخراب والعزوف عن متابعة الدراسة.كما أن النزوح إلى المدن الكبرى جعل المؤسسات التعليمية عاجزة عن استيعاب العدد الهائل من التلاميذ، وأدى إلى اكتظاظ الأقسام وفتح الأقسام المشتركة ونظام الدوامين والنقص الفادح في الأطر التعليمية الكفأة، الأمر الذي أدى إلى تدهور وانتكاسة التعليم التي لا زالت آثارها لم تندثر بعد، رغم بوادر التعافي. مع أن ما تسعى إليه الجزائر هو إنشاء مدرسة جزائرية حديثة توفر فيها

للمعلم والمتعلم جميع المطالب والحاجات، وتعد أبناءها لمستقبل زاهر، يقيناً منا أن الاستثمار في مجتمع المعرفة يساهم في التنمية المستدامة لأي بلد في وسط عالم متغير.

كلمات مفتاحية: أنظمة التعليم، مجتمع المعرفة، التنمية المستدامة، المعلم.

Résumé

Dès l'indépendance l'Algérie a connu un grand vide dans les différents établissements de l'enseignement au sein des trois cycles. L'Algérie devrait résoudre les problèmes rencontrés et s'orienter vers la professionnalisation de l'enseignement en allouant un énorme budget pour cette tâche qui nécessite la réalisation des établissements de formation, la mise en œuvre des conventions de coopération avec des compétences étrangères pour assurer un encadrement de qualité et un suivi rigoureux. Les élèves-enseignants ou stagiaires des écoles normales doivent répondre aux critères de sélection à savoir: une bonne condition physique et morale, un équilibre psychique, un dévouement pour l'exercice de ce noble métier d'enseignant. Sans négliger la large culture du futur enseignant, son intelligence sociale et son ambition permettant l'innovation, la création, l'adaptation aux différentes situations. La maitrise de la spécialité est une condition sine qua non, la performance en matière pédagogique, en méthodologie de recherche et en

didactique est un pré requis. Pour plus de perspicacité, l'enseignant est formé en psychologie du développement, en psychologie de l'enfant et de l'adolescent, en Psychologie clinique, en législation scolaire et éthique professionnelle. Durant cette période, des stages pratiques s'étalent sur tout le long de la formation dans les écoles d'applications. Après l'achèvement de sa formation au sein de l'ITE, il est nommé en tant qu'enseignant stagiaire selon sa qualification dans l'un des établissements d'enseignement Un bon enseignant est appelé à développer et à actualiser ses connaissances et sa formation continue tout au long de sa vie en participant aux différentes activités telles que: les conférences régionales, les journées pédagogiques, les sessions de recyclages, etc.

Malheureusement, durant la décennie noire, les établissements scolaires ont été saccagés, ou détruits, un exode massif des villageois, des dizaines d'enseignants ont été victimes du terrorisme, sans compter, les enlèvements, les invalides, les disparus et les départs à l'étranger. Le surpeuplement des grandes villes met les établissements scolaires dans des situations alarmantes et vulnérables. Pour des solutions palliatives et immédiates on instaure le système du double vacation, la surcharge des classes, la création des classes associées. L'insuffisance et le manque d'encadrement oblige la tutelle à augmenter le volume horaire des enseignants et ouvre la voie au recrutement des enseignants sans formation pédagogique et sans aucun

critère de sélection. Ce qui a conduit à la détérioration et la dégradation de l'éducation.

A l'état actuel, notre système éducatif cherche à établir une école moderne qui offre aux apprenants toutes les exigences et les besoins qui les préparent à la réussite pour un avenir radieux, en sachant que l'investissement dans ce domaine de savoir est un développement durable dans un monde en mutation.

Mots-clés : systèmes de l'enseignement, société de connaissance, développement durable, enseignant.

أولا: استقلال الجزائر وضرورة سد الفراغ بمعلمين جزائريين من مستوى متدن وتكوين أولي بسيط:

كان التعليم في الجزائر إبان الاستقلال يشكو من نقص فادح من المعلمين في مختلف المؤسسات التربوية من أطوار التعليم الثلاثة، نتيجة حرب مدمرة دامت قرنا وربع قرن هلك فيها الزرع والضرع. وقد حاولت فرنسا منذ أن وطأت أقدامها الجزائر من 1830 إلى 1962 طمس كل معالم ومظاهر ومقومات الأمة الجزائرية، وذلك بتجريدها من لغتها ودينها وقيمها وتاريخها. فعمدت إلى غلق المدارس التي كانت تنشئها جمعية علماء المسلمين في مناطق شتى من الوطن، وعملت على ملاحقة كل من ساهم في التكوين أو التدعيم المادي والمعنوي لدور العبادة والكتاتيب أو المدارس الحرة. فتحدت الجزائر كل الصعاب وسعت وزارة التربية الوطنية إلى توظيف النخبة من أبنائها في قطاع

التعليم في مراحله الثلاثة : الابتدائي والمتوسط والثانوي. ولكن ذلك لم يكن ذلك كافيا، إذ أن الجزائر آنذاك كانت مقبلة على ثلاث ثورات: ثورة ثقافية، وثورة زراعية وثورة صناعية، فكان لزاما عليها أن تهيئ من أجل ذلك اليد العاملة، والإطارات المختصة في شتى الحقول والمجالات. كما أن القطاع غير المرغوب فيه في تلك الفترة كان قطاع التعليم، وربما ذهب إليه من لم يجد عملا فدفعته الحاجة لا الرغبة. وأمام الأعداد الهائلة من المتمرسين والحاجة إلى تشييد المدارس وتجهيزها، كان لابد من إيجاد العنصر الأساسي في العملية التربوية وهو المعلم. لذا اقتضت الضرورة أن توظف الدولة كل من له مستوى السنة الثالثة متوسط، وتابع دروسا ليلية أو خضع لتكوين مسبق أقصاه ستة أشهر متبوع بمسابقة تأهيل، ليصبح ممرنا. في حين عُين حملة الشهادات كل حسب مستواه العلمي، حيث أسندت وظيفة المعلم المساعد إلى حاملي شهادات التعليم العام (شهادة التعليم المتوسط ، شهادة التعليم الأساسي) من أجل التدريس بالطور الابتدائي، ويمكن ترسيمهم بهذه الصفة بعد مرور سنة من العمل من قبل لجنة مكونة من مفتش للتعليم الابتدائي ومن مدير المؤسسة ومن معلمين مشهود لهما بخبرتهما الواسعة في مهنة التعليم. وعلى هذا القياس تكون الترتيبات في المناصب الأخرى للمساعدين والمدرسين: وهم الحاصلون على شهادات التعليم الثانوي (البكالوريا) أو ما يعادلها، أو أولئك الذين لهم مستوى السنة الثالثة ثانوي والساعين إلى التكوين الذاتي المستمر، فإن أثبتوا تفوقهم ونجاحهم في شهادة الكفاءة العليا (1)، أمكن ترقيته إلى منصب مدرس، غير أنه لا

يتم تثبيته بصورة رسمية إلا إذا اجتاز بنجاح شهادة الكفاءة العليا الثانية (2). إلا أن الحاصلين على البكالوريا والمنخرطين في سلك التعليم بإمكانهم اجتياز شهادة الكفاءة المهنية أو البيداغوجية في شقها الكتابي فقط، فإن نجحوا في ذلك، يطلبون من المديرية التي تشرف عليهم ترسيمهم. لا شك أن التعليم في البداية اعترضته صعوبات جمة إذ برزت فكرة الجزأرة والتعريب، وديموقراطية التعليم وإلزاميته، حيث وفّـر هذا الأخير المعلم والكتاب للتلميذ أينما حل وارتحل وهذا دون مقابل مادي. ولقد فتحت أبواب المدارس للذكور والإناث، وأوجدت مؤسسات لإقامة التلاميذ الداخليين، وعممت المطاعم المدرسية لغير الداخليين، حتى وإن لم تكن الدولة آنذاك قادرة على تحقيق المطلب الأساسي وهو إيجاد المعلم الجزائري الكفء.

ثانيا: الاستعانة بالمتعاونين التقنيين في التعليم وفتح المعاهد التكنولوجية للتربية:

استعانت الجزائر بما يعرف بالمتعاونين التقنيين منذ الاستقلال، حيث جلبت أساتذة أكفاء من عرب وعجم، قد كانت لهم اليد الطولى في التكوين. فاستطاعت الجزائر أن تلبي حاجاتها في هذا المضمار، وأن تصبح من الدول الرائدة في تكوين معلمين من الطراز الأول، فقد فتحت في معظم الولايات دورا لتكوين المعلمين المساعدين، وأخرى للمدرسين، وثالثة لأساتذة التعليم المتوسط أو ما يعرف بالمعاهد التكنولوجية للتربية المنشأة بموجب الأمر رقم 69/106 بتاريخ:

12/26/ 1969، وخصصت مدارس عليا للتكوين الثانوي في أمهات المدن الكبيرة بالجزائر. بحيث كان ينتقى الراغبون في الانتماء لسلك التعليم حسب المستوى التعليمي للمرشح أو الشهادة التي يحملها والمسار الذي يوجه له، ويوقع معاهدة لمتابعة دراسته بمدرسة المعلمين لمدة من سنة إلى أربع سنوات وحتى خمس سنوات.

ثالثا: تمهين التعليم من خلال التجربة الجزائرية:

إن الإعداد المهني للتدريس هو اكتساب المعرفة الصحيحة والمهارة العالية التي يحتاجها معلم المستقبل في أصول مهنة التدريس وأوضاعها وأساليبها، حتى يتمكن من التعامل الفعال الناجح في عملية التعليم، ويحقق أهدافها المنشودة. ويشمل هذا الإعداد جانبا نظريا متعلقا بالدراسات المهنية النظرية، في علـــوم التربية وعلم النفس، وأيضا جانبا عمليا متعلقا بالتـــدريب العملـــي، ويضـــع قدراتـــه ومهاراته على محك التجربة"[1].

I- التكوين بالمعاهد التكنولوجية للتربية:

لم يعد التعليم كما كان عليه، إذ أصبح الانتقاء ضروريا عن طريق المسابقات الكتابية والمقابلات لاختيار الأنسب لذلك. ويشير بيار كاس "أن هدف التكوين أو تحسين المستوى هو تشخيص دقيق إلى أبعد حد للوضعية التي يتمخض عنه الفعل البيداغوجي، إذا افترضنا أن:

الفعل البيداغوجي يناسب ضرورة التحسين، وأنه يجب أن يتم تجسيده بشكل جيد أو ملائـــم"[2].

- شروط الالتحاق بالمعاهد التكنولوجية وبرنامج التكوين وأبعـــــاده:

1. الدافعية القوية والرغبة الملحة للانخراط في سلك التعليم.
2. السلامة من كل العيوب والنقائص لممارسة مهنة التعليم.
3. ثقافة واسعة ومعرفة بالبيئة الاجتماعية التي تحيط بالمعلم والمتعلم.
4. أداء وتمكن من مادة التخصص.
5. التكوين التربوي والبيداغوجي للمعلم.
6. التشريع المدرسي.
7. التربصات والتدريبات العملية في المدارس والمؤسسات التعليمية التطبيقية.

- **من النظـــــري إلى التطبيقي:** يقول تركي رابح "نعتقد أن هدف التربية والتعليم ينصب على تحويل المعرفة إلى وظيفة اجتماعية، ولكي تكون وسيلة في بناء شخصيات الناشئة، ومؤثرة على نمو وظيفي في حياتهم وحياة مجتمعاتهم"[3]. ومن هنا، لا بد أن يعد المعلم الإعداد الجيد قبل ممارسته للتدريس، ولا تكفي الدروس النظرية لتكوين المعلمين، بل ينبغي تدعيمها بتدريبات وتربصات ميدانية في المدارس التطبيقية على مدار فترات معينة، سواء بشكل موزع أو مجمع، مع متابعة ومرافقة من طرف الهيئة التدريسية على مستوى المعهد التكنولوجي (أستاذ مادة التخصص، وأستاذ العلوم النفسية: علم النفس التكويني، علم نفس الطفل

والمراهق...، وعلوم التربية: التربية العامة والخاصة، طرق التدريس...).

- **دور الطلبة المتربصين:** بعد أن يقضوا مدة من التكوين النظري، يدعون إلى النزول للميدان ليتعرفوا عن كثب عن المؤسسات التربوية، وأجوائها، وعن المعلم وتفاعله مع تلامذته وهو يلقي دروسه بالشرح، واستخدام وسائل الإيضاح، بينما يجلس المتربصون في المقاعد الخلفية ويتابعون معلم القسم، فيسجلون كل ما يصدر عنه وعن تلامذته من تصرفات، وقد يستعملون طرقا لتقويم الموقف التعليمي كأداة "فلاندرز" للملاحظة. فإذا انقضى الوقت وانصرف التلامذة، عقدت جلسة عمل لمناقشة سير الدروس ومراحلها وجوانب القوة والضعف. ويسلم الأستاذ المطبق للمتربصين بطاقات تحضير الدروس لكل مادة مع الوثائق الضرورية للتدريس... وقد تتوسع الجلسة فتضم أساتذة المعهد المعنيين بالمتابعة. وعلى المتربصين أن يجوبوا جميع أقسام المدرسة ويتابعون الدروس النموذجية فيها ويقومون بمهام أخرى، كمراقبة نظافة التلاميذ، ومتابعة حضورهم وغيابهم، ومعرفة حاجاتهم ومتطلبات نموهم... كما أن الملاحظات والمناقشات وحضور الدروس اليومية بالمدرسة التطبيقية تمكن المتربص من التدريس، مستخدما أسهل الطرق وأنجعها لإيصال المعارف واستيعابها من طرف تلامذته. وبالتالي فهذه التربصات تجعلهم تؤهلهم ليكونوا معلمين ناجحين، قبل مزاولتهم وممارستهم للتعليم كمهنة.
- **من المواد التي تتطلب تكوينا:** (علم التباري) الدوسيمولوجيا Docimologie، عمدت وزارة التربية إلى تكوين المعلمين وتأهيلهم

في علم التباري وطرق التقويم، فكونتهم في بناء الاختبارات بمختلف أنواعها سواء الرسمية منها والعادية، أو التحليلية منها أو الموضوعية (الاختيار من متعدد) وكيفيات تصحيحها.

- **تكنولوجيا التعليم:** عملت وزارة التربية على إعداد الطلبة المتربصين، فمكنتهم من التدريب على الوسائل المتاحة كالوسائل السمعية البصرية الحديثة وغيرها، كالماسح الضوئي واللوح الإلكتروني وتقنيات الإعـــــــــــلام والاتصال، والمكتبات الافتراضية، والسبورة التفاعلية والمحاضرات التفاعلية المرئية عن بعد، وأصبحنا قاب قوسين أو أدنى من التخلص من المحافظ الثقيلة المنهكة لأطفالنا، وتظهر في وقت قصير مخترعات حديثة يتم تفعيلها لمسة أصبع أو بطرفة عين. وعلى المعلم الذي ألا يكتفي بما لديه من وسائل، بل يبحث عن التجدد والتنوع، شريطة أن تكون الوسيلة ناجعة وفعالة في المجال الذي يستخدمها فيه.
- **ضرورة تعلم لغات أجنبية:** من المواد المدرجة في تكوين المعلمين تعلم لغة أجنبية فهي مادة ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها. ولا يخفى على أحد ما لاكتسابه للغات الحية من أثر ايجابي على أدائه ونجاحه، خصوصا في الوقت الراهن مع وجود وسائل التواصل المتعددة أين أصبح بإمكاننا في لمح البصر أن نجول العالم ونتبادل الرأي، ونحصل على مجلات علمية في أي مجال من مجالات العلم، بل ويمكننا أن نطرح الأسئلة المحيرة على ما يسمى بالأجهزة الذكية بلمسة أصبع، وقد نحصل على وابل من الأجوبة في لمح البصر.

"يسعى تكوين المعلم دائما إلى تحقيق الأهداف التربوية المنشودة، لذا يلعب التكوين دورا هاما في العملية التعليمية باعتباره الجسر الذي يربط بين عملية التعليم والمعلم، فيستوجب دائما العمل على الرفع من كفاية أداء المعلم، للرفع من مستوى أداء التلاميذ، وتحسين مستوى العملية التعليمية ككل، وتتوقف هذه النتيجة على نوعية التكوين قصد التحسين من ثقافة المعلم ومعارفه التربوية"[4].

II – التكوين في إطار الخدمة أو تكوين ما بعد التخرج من المعاهد التكنولوجية:

1) **التكوين الأولي:** يتم هذا التكوين في المعاهد التكنولوجية للتربية، ومراكز التكـــوين، وفـــي الجامعات أيضا، "ويتمثل في تحسين مستوى الموظف، وتوعيته، وإعـــداده لممارســـة الوظيفة"[5].

2) **التكوين الذاتي:** (Autoformation): فالشهادات التي ينالها المعلم ليست هي نهاية المطاف، والتربصات التي تلقاها، والتدريبات على التقنيات والتحكم في استخدامها، غير كاف لتحسين وتطوير أدائه، وليكن معلم نفسه، بحيث يدفعه حب الاستطلاع إلى المزيد من التحكم في العملية التعليمية التربوية. ويمكن القول بأن "مدة السنوات التي يستغرقها إعداد المدرس خلال تكوينـــه الأولي لا يمكن أن ينمي قدراته المهنية إلى أقصاها بل تتطلب استمرارية في التكوين طوال ممارسة العملية التعليمية لأن الإعداد قبل الخدمة لا يعطي للمعلـــم إلا مجـــرد

الأسس التي تساعده على البدء، والانطلاق في ممارسته لمهنة التعلـــيم"[6].

3) **الحضور والمشاركة في الملتقيات والأيام الدراسية والندوات التربوية:** يواصل المعلم تكوينه البيداغوجي والعلمي بعد تخرجه وتعيينه في مدرسة ما، وهذا على مدار السنة الدراسية من خلال حضوره للأيام الدراسية والندوات التربوية التي يشرف عليها المفتشون والأساتذة المتمكنون، فيسود التفاعل وتبادل للخبرات والتجارب، وتتبلور وتصحح بعض المفاهيم الغامضة مما يرفع من قدراتهم ومهاراتهم ومستواهم التحصيلي لأداء مهامهم بدقة. خصوصا إذا كان التنظيم محكما والإعداد جيدا لهذه الملتقيات والندوات، وأبدى المعلمون جديتهم ورغبتهم في الحضور والتواصل مع أخوانهم في نفس المهنة، والذي من شأنه أن يمهد الطريق لإيجاد الحلول للمسائل العالقة، ويقوي الصداقة بينهم.

4) **الدورات التكوينية (الرسكلة):** نظرا للتطور المعرفي والتقني المتسارع، تنظم الوزارة الوصية من حين لآخر تكوينات قصيرة المدى بعد التخرج، وممارسة المعلم لمهامه التعليمية التربوية، وهذا لتحديث معارفه البيداغوجية، وتحيين مكاسبه الأكاديمية، والعمل على تطوير وسائله الفنية والتقنية، وتدريبه على كل جديد مستحدث بغية الرفع من مستواه على أكثر من صعيد. وانطلاقا من مسارات التكوين قبل الخدمة وبعدها، فإن الهدف من وراء إعداد المعلم وتأهيله، هو أن يؤدي هذا

التكوين إلى تشكيل وبناء شخصية متكاملة تساهم مساهمة فعالة في بناء المجتمع وتطويره، إذ لم تعد عملية التعليم قائمة على حشو أذهان التلاميذ

بمعلومات ومعارف تحفظ وتنسى بعد الامتحان، فليســت المسألة تلقينا للمعلومات وملأ للرؤوس بالحقائق دون تفعيل أو تطوير.

رابعا: العشرية السوداء في الجزائر وما آلت إليه أحوال المنظومة التربوية:

عرفت الجزائر عشرية سوداء من سنة 1988 إلى 1998، فعصفت في فترة وجيزة بكل ما تم إنجازه قبل الاستقلال وما بعده في شتى الحقول والميادين. فأضحت قاعا صفصفا لا ترى فيها إلا الخراب والدمار، فانهارت بنياتها التحتية، وأصبحت معظم مؤسساتها هباء منثورا تذروه الرياح، وما تناثر من أشلاء الجزائريون لا يعد ولا يحصى، ناهيك عن الذين أصيبوا، بالإضافة إلى الإبادات الجماعية المتمثلة في تفجير حافلات نقل المعلمين أو أطفال المدارس النائية جراء الألغام المزروعة في كل مكان، أما أولئك الذين خرجوا من دورهم أو مقرات عملهم إناثا وذكورا ولم يعودوا فحدث ولا حرج. لقد عرفت الجزائر إبان تلك الفترة أبشع الجرائم التي شهدتها البشرية عبر العصور، وبالمختصر قتل وذبح وحرق وتشريد ونزوح وتهجير العقول، وعلى رأسهم أطفال أبرياء منهم معلمون مسالمون. قوضت أركان المؤسسات التعليمية ولم تعد العديد منها في الخدمة، كما أن إعادة بنائها وتجهيزها وتزويدها بمربين أو معلمين من ذوي الكفاءة يحتاج إلى وقت وجهد

ومال، بل حتى أولئك الذين بقوا على قيد الحياة جلهم ذهب بدون رجعة: إما لتقاعد مسبق، أو عجز مستديم، أو مغادرة التعليم إلى مهنة أخرى أحسن مردودا وأقل إزعاجا وعناء، ومنهم من ترك البلاد وهجّـــــر بسبب التهديد والملاحقة ممنيا النفس بعيش رغيد خارج الوطن.

خامسا: ما بعد العشرية السوداء وإلى يومنا هذا:

كفكفت الدموع، ولملمت الجراح، وعادت الحياة من جديد بوتيرة متثاقلة نتيجة التراكمات في جميع القطاعات. فالمعاهد التكنولوجية للتربية (دور المعلمين سابقا) لم تعد في الخدمة كما كانت، وأغلقت أبوابها، ومنها من حول مساره. ومعنى هذا أن الجزائر عادت إلى المربع الأول الذي عاشته إبان الاستقلال –إن لم نقل إلى ما تحت الصفر– وعادت الفوضى في التسيير: أقسام مكتظة، وأخرى مشتركة، وتطبيق لنظام الدوامين. وأصبحنا نلهث وراء استيعاب الأعداد الهائلة من التلاميذ الذين لا مدارس ولا معلمين لديهم... وساءت أحوال التعليم، ولم يعد من القطاعات ذات الأولوية، باعتباره قطاعا غير منتج، بعد أن كانت الجزائر سباقة ورائدة في تكوين معلمين من الطراز الأول. ورغم هذه النكبة والمحنة الأليمة، فإن الجزائر لا زالت صامدة محاولة رأب الصدع والخروج من هذه الأزمة التي لازالت تشدد الخناق عليها، خصوصا وأن الوضع الاقتصادي الحالي لا يبشر بخير، نظرا لانهيار أسعار الذهب الأسود يوما بعد يوم. إذا كان الحال إبان الاستقلال هو الاستعانة بممرنين أخلصوا لأمتهم ورفعوا مشعل التحدي، فإن الجزائريين اليوم

يحملون أعلى الشهادات. ومن هذا المنطلق، كان لزاما على وزارة التربية الوطنية أن تستجيب لحاجيات 48 ولاية من الوطن بالتوظيف لتعويض النقص وتزويد المؤسسات التربوية بمعلمين في جميع الاطوار عن طريق إجراء المسابقة السنوية للحاصلين على شهادة الليسانس/الماستير دون أي تكوين أولي يتعلق بمهنة التعليم. وعلى الرغم من توفير المعلمين لتغطية العجز الحاصل في وقت قصير وبأطر جامعية، إلا أن خيبة الأمل كانت كبيرة، فليس لهؤلاء المعلمين الجدد أية دراية أو مهارة في التدريس، ولا يمكن أن نتحدث عن الجودة في تسيير القسم، إن لم يكونوا قادرين على الوصول إلى عقول ونفوس تلامذتهم بيسر وسهولة، معللين ذلك بعدم رغبة التلاميذ في الدراسة ونقص الدافعية لديهم. والحقيقة أنهم لم يكونوا قادرين على تأدية وظيفة التعليم بجدارة واستحقاق، نتيجة عدم تكوينهم تكوينا بيداغوجيا وتطبيقيا. وقد بدا هذا التكوين المناط بالجامعات غير فعال، وأن أغلبه لا يفي بالغـــــرض المطلوب، وأكدت التجربة أن خريجي الجامعات أصلا غير مؤهلين لممارسة التربية والتعليم، وكان لغزا محيرا، لماذا تفشل المنظومة التربوية وقد زودناها بمتخصصين من ذوي الكفاءات العالية؟ والحقيقة أن توظيف حملة الشهادات الجامعية لا يعني بالضرورة التأهل في التعليم والنجاح فيه. فتمهين التعليم في هذه الحالة يطرح إشكالا كبيرا، والحصول على شهادة جامعية ومعارف واسعة في مجال التخصص لا يجدي نفعا، لإعطائنا معلمين ناجحين إذا لم يكن هناك تكوين أولي في ميدان التربية والتعليم والبيداغوجيا. الوضع كارثي،

وصفارات الإنذار تصم آذاننا، فالمؤتمرات الدولية أو الوطنية المنعقدة بالجزائر تنادي بإعادة فتح دور المعلمين، فلم تعد الشهادة الجامعية معيارا لتفتق الكفاءات المهنية لدى المعلمين. إلا أن الوضع في الجزائر بدأ في التحسن بعدما عادت بعض المعاهد التكنولوجية للتكفل بالتكوين المجمع، خاصة وان الوزارة الوصية تسعى حاليا إلى إعادة فتح المعاهد التكنولوجية على مستوى جميع ولايات الوطن من اجل ضمان التكوين القاعدي والتكوين المستمر للأساتذة في جميع المستويات والأطوار. إذ "أن التكوين بدأ يأخذ بعدا إستراتيجيا في السنوات القليلة الأخيرة، نظرا لأهميته في جميع مجالات الحياة. كما أخذ مفهوم التقويم هو الآخر يتحول تدريجيا كعملية ضرورية في العمل التكويني، والسنوات القادمة سوف تشهد اهتماما متزايدا بالعملية التكوينية نظرا للتقدم التكنولوجي، والمهني السريع في جميع مجالات الحياة"[7].

هذا دون أن ننسى الدور الفعال الذي تلعبه المدارس العليا للأساتذة على مستوى بعض ولايات الوطن، على غرار المدرسة العليا للأساتذة بالقبة (بالجزائر العاصمة) والتي توفر تكوينا بيداغوجيا وعلميا للطلبة لصالح قطاع التربية الوطنية، وهذا في عدة تخصصات. بحيث أصبح التكوين المشار إليه أعلاه منذ 1999 على مدار أربع (4) سنوات لتخريج أساتذة في التعليم الأساسي (الابتدائي والمتوسط)، وخمس (5) سنوات بالنسبة لتكوين أساتذة التعليم الثانوي. كما تقوم المدرسة بالتعليم المتواصل عن بعد، وتساهم في تطوير البحث العلمي الأساسي والتطبيقي. ولأجل هذا الدور الفعال لمثل هذه المدارس العليا، ستشرع

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر إلى فرض معدلات مرتفعة ومعايير انتقاء صارمة بالنسبة للمقبلين على الدخول إلى هذه المدارس من بين الطلبة الجدد الناجحون في امتحان شهادة البكالوريا المقبلة دورة جوان 2018.

خلاصة

إن الأوضاع في العالم العربي ليست بخير وما بنته أمة في أمد يمكن هدمه في دقائق، ومع ذلك لا بد من الخروج من هذا الظلام. فالأزمة تلد الهمة ومجتمع المعرفة لا يتوقف على تكنولوجيا باهظة الثمن وبتدفق هائل للمعلومات، ولكن يبنى على العلم والمعرفة وعلى الإبداع والتجديد، فالنظرة إنسانية حتى ولو أن مجتمع المعرفة قائم على التنمية التقنية.

الهوامش

1- راشد علي، اختيار المعلم وإعداده دليل التربية العملية، دار الفكر العربي القاهرة، 1996، ص79.

2- Casse. Pierre, La Formation Performante, Alger. O.P.U, 1994, p 133.

3- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1990، ص436.

4- حسوني عبد الغني، تكوين المعلمين، أدرار، 2010. ص 38.

5- رشيد أورلسان، التسيير البيداغوجي في مؤسسات التعليم، قصر الكتاب، البليدة، 2000، ص 280.

6- المركـــز الوطني للوثائق التربوية، 1998، ص07.

7- G. Jouvenel, B. Masingue, Les évaluations d'une action de formation dans les services publics, Les éditions d'organisation, 1994, p 30.